المحاضرة رقم 01

تحلـــــــــيـــــــــل المـــــــــضمـــــــون

(المفهوم- الأصول التاريخية- الخصائص والخطوات)

موجّه لطلبة السنة الأولى ماستر اتصال جماهيري ووسائط جديدة للسداسي الثاني

إعداد: د.نصرالدين بويحي

تمهيد:

تتعدّد الأداوت البحثية وتتنوّع خدمة لأهداف البحث،فقد اجتهد علماء المنهجية في ابتكار وتطوير الأداوت البحثية تماشيا مع تطوّر الظواهر البحثية وتعقيدها، وظهور المستجدّ منها، وفي علوم الإعلام والاتصال ترتبط الأدوات بمستويات العملية الإعلامية والاتصالية، فهناك أدوات ترتبط بدراسة الفرد مرسلا أو مستقبلا، وهناك أدوات ترتبط بالمضمون أو الرسالة، وهناك أداوت ترتبط بالوسائل الاتصالية... إلى غير ذلك، وسوف نستعرض في هذه المحاضرة والمحاضرات التي تليها أداة بحثية ذات أهمية كبرى ولا سيما في بحوث الإعلام والاتصال، وهي أداة تحليل المضمون، وسوف نستعرض في هذه المحاضرة مفهوم تحليل المضمون، وأصوله التاريخية، وخصائصه، والخطوات التي يتمّ من خلالها.

1- مفهوم تحليل المضمون:

التحليل هو تفكيك الشيء إلى مكوناته الأساسية ، أمّا المضمون فهو ما يحتويه الوعاء اللغوي أو التسجيلي الصوتي أو الفهمي او الكلامي... التي يعبّر عنه الفرد في نظام من الرموز لتبليغه للآخرين.

أمّا تحليل المحتوى يعرّفه **"بيرلسون"** بأنّه : تقنية بحثية تستهدف الوصف الموضوعي ، الكمّي، والمنهجي للمحتوى الظاهر للاتصال، فهو وصف موضوعي لا يخضع لذاتية الباحث، ومنظّم بإجراءات منهجية ثابتة، وكمّي لأنّه يحوّل المضمون الاتصالي إلى معطيات كميّة قابلة للعدّ والقياس.

ويعرّفه " **بول هنري**" و" **سارج موسكوفي**" فيعرفان تحليل المضمون بأنّه مجموعة متداخلة من التقنيات تستعمل أساسا عند تناول الوسائل اللسانية" (تمّار، 2007، ص9)

أمّا "**كلود كريندرف** " فيعرّفه بالقول " هو أحد الأساليب البحثية التي تستخدم في تحليل المواد الإعلامية بهدف التوصّل إلى استدلالات واستنتاجات صحيحة ومطابقة في حالة إعادة البحث والتحليل.

ويعرّفه **"هارولد لازويل"** بأنّه الوصف الدقيق والموضوعي لما يقال عن موضوع معين في وقت معيّن .

في حين يعرّفه " **ويلزر وينر** " بأنّه إجراء منتظم (منهجي) يستخدم لفحص مضمون معلومات مسجّلة

ويحاول **سمير محمد حسين** تقديم تعريف شامل لتحليل المضمون ، فيقول عنه: هو أسلوب أو أداة للبحث العلمي يمكن أن يشخّصها الباحثون في مجالات بحثية متنوعة وعلى الأخصّ في علم الإعلام لوصف المحتوى الصريح والظاهر للمادة الإعلامية المراد تحليلها من حيث الشكل والمضمون، تلبية للاحتياجات البحثية المصاغة في تساؤلات البحث أو فروضه الأساسية طبقا للمقتضيات الموضوعية التي يحدّدها الباحث... وذلك بشرط أن تتمّ عملية التحليل بصفة منظّمة ووفقة منهجية ومعايير موضوعية وأن يستند الباحث في عملية جمع البيانات وتحليلها على الأسلوب الكمّي بصفة أساسية .

2- الأصول التاريخية لتحليل المضمون:

تمتد الجذور التاريخية لتحليل المضمون إلى سنة 1734، أين قام بعض الباحثين بدراسة لتسعين ترتيلية دينية لتحديد تأثيراتها السيئة على أنصار "**مارتن لوثر كينغ**" ، وشمل التحليل بوجه خاصّ القيم المتضمنة في هذه التراتيل، وأشكال ظهورها. وفي الفترة ما بين 1908-1918 قاما الباحثان "**توماس**"و " **زينانيكي**" بدراسة تحليلية لرسائل المهاجرين البولونديين في الولايات المتحدة الأمريكية، تحت عنوان " الفلاح البولندي"

وفي سنة 1926 قام الباحث "**مالكوم ويلي**" بدراسة تحت عنوان " صحافة البلد" ، وقام فيها بدراسة المواضيع التي تناولتها مجموعة من الصحف. وأثناء الحرب العالمية الثانية تطوّر تحليل المضمون ، مدفوعا بالأهداف والأغراض العسكرية، ومن أمثلة ذلك دراسة الحلفاء لطبيعة المواد المذاعة في الإذاعات الألمانية للتعرّف على الروح المعنوية لدى الألمان. إلى أن جاء الباحث " **هارولد لازويل** " وابتكر مفهوم التحليل الرمزي، والذي اعتمد فيه عملية تسجيل ظهور المضامين باستخدام رموز معينة. لتشهد سنة 1952 ميلاد أوّل مؤلّف حول تحليل المضمون وتطبيقاته المنهجية، وحمل عنوان " تحليل المحتوى في بحوث الاتصال" ، من تأليف" بيرنارد بيرلسون" ، وهو ما أكسب تحليل المضمون الصبغة المنهجية، وتنظيم إجراءات التطبيق، وتتابعت فيما بعد ذلك جهود الباحثين من أمثال: " لازويل " و " كابلان" و"جانيس " و " ويلزر وينر" وغيرهم لتطوير تحليل المضمون، أمّا في العالم العربي فقد اهتمّ به: " محمد عبد الحميد" و" رشدي طعيمة" و" فضيل دليو"و " سمير محمد حسين" وغيرهم.

3- خصائص تحليل المضمون:

يتّصف تحليل المضمون بالخصائص التالية:

- هو أسلوب او أداة بحث ضمن المنهج المسحي وليس منهجا مستقلا بذاته مثلما يشاع خطأ في بعض الدراسات.
- يبحث ضمن المستوى الوصفي الظاهري للاتصال: وفيه يتمّ وصف المضمون الصريح انطلاقا من المؤشرات الكمّية.
- يبحث ضمن المستوى التحليلي أو الباطني أو الكيفي الماورائي للمضمون: ويستهدف الكشف عن النوايا الحقيقية في النّص، انطلاقا من مراجعة السياقات التاريخية والحضارية ، والثقافية، والاقتصادية،التي رافقت عملية انتاج النّص أو الرسالة الإعلامية.
- يعتمد على الرصد التكراري المنظّم لوحدة التحليل المختارة.
- لا يكتفي تحليل المضمون برصد التكرارات الكميّة لمضمون ما ، بل يستهدف تحقيق عدد من الأهداف البحثية التي يضعها الباحث .
- يمكن تطبيقه على كافة الانماط والمضامين الاتصالية، سواء أكان اتصالا شفهيا ، أو نصّا مكتوبا ، أو مادة مسموعة، أو سمعية بصرية ....
- يعتبر من أكثر أداوت البحث شيوعا واستخداما في بحوث الإعلام والاتصال، ويصفه روجر ويمر وجوزيف دومينك بكونه أداة بحث شعبية.
- يصنّف ضمن الأدوات البحثية الكميّة، ويوفّر بيانات كيفية ذات قيمة علمية كبيرة.

4- خطوات تحليل المضمون :

يتم تطبيق تحليل المضمون من خلال الخطوات البحثية التالية:

- تحديد مشكلة الدراسة وتساؤلاتها.
- بناء فرضيات الدراسة ومتغيراتها الأساسية.
- تحديد أهداف الدراسة ومجالاتتها وحدودها.
- تحديد مجتمع الدراسة وعينتها.
- بناء نظام الفئات ، وتحديد الفئات الأساسية والفرعية ومؤشراتها وتعريفها.
- تحديد وحدات التحليل وتعريفها.

- تطبيق إجراءات الصدق والثبات لنظام الفئات.
- تحليل المضمون وترميز البيانات.
- استخلاص النتائج.

شرح:

إنّ التحديد الدقيق لمشكلة البحث هو أهمّ شرط لتحقيق انطلاقة جيّدة في عملية البحث، إذ تتحدّد على ضوء مشكلة البحث كافة الخيارات والإجراءات البحثية اللاحقة، ومن أجل الضبط الجيّد لمشكلة البحث يمكن للباحث القيام بما يلي:

- مراجعة الدراسات السابقة والمشابهة ، وملخصات البحوث من أجل توسيع الاطلاع حول المشكلة البحثية المراد دراستها.
- الانطلاق من نتائج البحوث السابقة، لبناء مشلة بحثية جديدة، لم تتعرّض لها هذه الدراسات، أو أنها أوصت بالبحث فيها.
- الاعتماد على النظريات الموجودة لبناء وصياغة مشكلات بحثية على ضوئها، كالاعتماد على نظرية تحديد محاور النقاش مثلا .
- متابعة الأحداث الراهنة والمستجدات ، فلطالما تشكّل الاحداث الراهنة منبهات للبحث في عدد من المواضيع.
- القيام بدراسة استطلاعية حول النطاق الموضوعي الذي تقع فيه المشكلة البحثية، من أجل المساعدة على تحديدها وصياغتها بشكل أدقّ.
- استشارة الأساتذة والباحثين خاصّة ممن سبق لهم استخدام وتطبيق هذه الأداة في بحوثهم.

وبشكل أساسي فإنّ استخدام تحليل المضمون يرتبط أساسا بالحاجة إلى استخدامه، أي أن تتطلبّ المشكلة البحثية استخدام هذه الأداة، فليس منطقيا أن نسبّق اختيار الأداة على المشكلة البحثية، أو أن نقرر القيام بتحليل المضمون لمجرّد أنّ البيانات متاحة لدينا. إنّ البحث العلمي في المقام الأوّل هو هاجس ذاتي نابع من ذات الباحث، نسعى لعالجته بطريقة علمية موضوعية.

وما قيل عن المشكلة البحثية ينطبق على التساؤلات والفرضيات وأهداف الدراسة ، وبشكل عام يجب على الباحث أن يعمّق ويوسّع في أن واحد دائرة إدراكه للجوانب المرتبطة بمشكلته البحثية، وأكبر خطأ يقع فيه الباحثون – ولاسيما المبتدئون منهم- هو التمّحور حول ذواتهم، والاكتفاء بخبرتهم البسيطة لمواجهة تحديات البحث.

إنّ تحديد المجال الموضوعي والزمني لتحليل المضمون ، يقصد به على نحو أساسي ضبط نطاقات المشكلة البحثية، فتحديد النطاق الموضوعي يعني تحديد الإطار الموضوعي الذي تقع فيه، أيّ ما الذي سوف تقوم المشكلة البحثية بدراسته، في حين يشير تحديد النطاق الزمني إلى الفترة الزمنية التي تقع ضمنها المشكلة البحثية المراد دراستها، وتحديد ذلك ضروري ، لأنّ المضامين – ولا سيما الإعلامية منها- تتغيّر بتغيّر الزمن.

مراجع للبحث والاستزادة:

1- يوسف تمّار، تحليل المحتوى للباحثين والطلبة الجامعيين، ط1، طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
2- روجر ويمر، جوزيف دومينيك: مدخل إلى مناهج البحث الإعلامي، ترجمة: صالح أبو أصبع و فاروق منصور، ط1، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، الإمارات المتحدة العربية، 2013.
3- كامل محمد المغربي: أساليب البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ط4، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمّان، 2011.
4- سمير محمد حسين: دراسات في مناهج البحث العلمي: بحوث الإعلام، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2006.
5- عبد العزيز بركات: مناهج البحث الإعلامي، ط2، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2012.
6- ربحي مصطفى عليان، عثمان محمد غنيم: أساليب البحث العلمي، ط2، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، 2008.
7- رحيم يونس كرو العزاوي: مقدمة في البحث العلمي، ط1، دار دجلة، عمّان، 2008.
8- سعيد التلّ وآخرون: مناهج البحث العلمي، ط1، منشورات جامعة عمان العربية للدراسات العليا، توزيع الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2006.
9- سامي محمد ملحم: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط 6، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان، 2010.